الحياة الاجتماعية

الاخلاق : يمتاز الكويتيون بأخلاقهم الحميدة وصفاتهم العالية وهي لعمري مفخرة من مفاخرهم ، واخلاقهم على العموم عربية خالصة وآدابهم اسلامية بحتة وكفى بالعروبة والاسلام دليلين على السمو والنبل . الكويتي — شأن كل عربي — بسيط صريح وواضح يقول لك ما يريد بدون مقدمات ونتائج او استعارة او مجاز . يفصح لك عما في قلبه بأسلوب صاف . وقد ذكرت لك حديثي مع الراعي . اجمل ما في العربي بساطته وصراحته ونقاء سريرته ولا غرو فهي مستمدة من انبساط الصحراء وصفاء السماء ووضوح الطبيعة . يدخل العربي على الامير (العود) اي الكبير فيكلمه بصراحة ويقول له : (أبي) اي أريد . زين او (ما بي) ما أريد . وهو لا يعرف الالقاب والتمجيد الزائف يقول للامير يا حضرة الشيخ او ياحمد . اما اخواننا المصريون فكانوا ينزعجون لهذه الصراحة وعدم نعتهم بالالقاب الضخمة وكانوا يصرون بالحاح على ضم « أفندي » الى اسمائهم .

وقد تنكر في بعض الامر صراحتهم حتى لتظنها احتقاراً او اهمالا وما هي من ذلك في شيء . كنت اذا لقيت أحدهم بادرته بقولي مساء الخير او صباح الخير. سلامات . فيحييني بفتور : الله بالخير او بالخير وهي مختصرة من صبحك او مساك الله بالخير . وقد لا يرفع الكويتي يده بالتحية فليس معنى ذلك انك لا تستحق التحية ولكنه رجل بسيط ساذج لا يهتم كثيراً بالمظاهر .

وقد دخل علي ذات يوم احد المعلمين المصريين ثائراً غاضباً يشكو المعلمين لانهم لم ينهضوا له احتراماً فطيبت خاطره وأفهمته ان عدم قيامهم له ليس على سبيل عدم الاكتراث وانما لبساطة القوم وكرههم للعبودية ومظاهرها فأرغى وأزبد ونسب اليهم التأخر وأرغيت وأزبدت ونسبت اليه الغرور ، وقد تلقى الكويتي على

بابه فتسلم عليه فيرد عليك السلام دون ان يدعوك الى داره ، وقد يكون الوقت ظهراً فلا يدعوك للغداء . هو لا يحب المجاملات الفارغة ، اذا أراد ان يدعوك دعاك ببساطة وعليك ان تلبي واذا لم يدعك فمعنى ذلك انه غير مستعد لاستقبالك فلماذا يمن عليك بالدعوة ثم تعتذر انت له ، بساطة اعجبتني .

والكويتي الى ذلك ذو شمم واباء — شأن كل عربي — لا يرضى الاهانة ، اذا ضغطت عليه تألم . وكثيراً ما كان يحدث ان المعلمين الكويتيين يعصون اوامر المصريين لان في لهجتهم أمراً جافاً واستعلاء على الكويتيين واحتقاراً لهم ، فأبادر فأكلم الكويتيين بأسلوبهم وأسلوبنا وأزيل سوء التفاهم .

والكويتي لا يتزلف ولا يرجو لان نفسه عزيزة عليه فهو عربي والعربي لايهون . فبارك الله بالعرب الاباة . والعربي يحترم الحاكم القوي ويحب الحاكم السخي . والكويتي على العموم ذكي وهو في ذلك قريب من السوري . وهو ذو استعداد للتطور سهل الطبع والانطباع . وقد تلقى الاهلون والتلامذة النظم الجديدة التي اوجدناها في مدارس الكويت بقبول حسن وتلاءموا معها بسرعه .

والكويتي مع صراحته وسذاجته لطيف ومهذب ، وهو في حديثه يقول لك : طول الله عمرك القضية « تشده » أي كذا ، او الله يسلمك المسألة كذا . واذا استحسن شيئاً قال : زين ، كلش زين ، او خوش أي عال . واذا اعجبه منك شيء قال : أحسنت او مشكور ؛ واذا قلت له أنت مشكور اجابك على الفور : ممنون . تنادي الخادم : كاس ماي فيردد طلبك بقوله اي والله كاس ماي . تقول: قهوة فيقول : قهوة اى والله قهوة . واذا طلبت حاجة قال : على امرك . واذا اوصيته بشيء قال : زين ، ما يخالف ؛ واذا لم يفهم قولك لم يستفسر بقوله : شنو ؟ بل خير ؟ واذا كلفته بأمر اجاب : ان شاءالله ؛ واذا اراد ان يجيب بالنفي لم يقل : ما كو ، وانما قال : سلامتك و « ان شاء الله » عند الكويتيين معناها ان الطلب سينفذ اما بعرف الدمشقيين فالطلب بعيد التنفيذ ؛ طلبت مرة من الخادم كاس ماء فقال : ان شاء الله ، قلت له بحدة : شو ان شاء الله ، بدي اشرب ، فكرر قوله : ان شاء الله . فقلت : لا حول ولا قوة الا بالله .

والكويتي « صاج » اى صادق لا يكذب ونصوح لا يغش وحر لا يوارب ولا ينافق ؛ اما تفكير الكويتي فسطحي لا ينفذ الى اعماق الامور ولا يستقصي المسائل ؛ عاطفي ونبيل ؛ والكويتي شأن التجار حريص ومادي ويقيس كل شيء بالمال لان المال في نظره المقام الاسمى ، وكنت اجد صعوبة في اقناع القوم ان المال ليس كل شيء بل الروح والمعنويات هي التي يجب ان تحتل المكانه الاولى ؛ الكويتي يقول لك : اذا كان في جيبك قرش فقيمتك قرش ، واذا كنت تملك مليوناً فقيمتك مليون ؛ ومن الواضح ان هذه الافكار خاطئة عقيمة .

هذه اخلاق الكويتي الاجتماعية ، أما اخلاقه الشخصية فعالية ايضاً فلا يوجد سكر ولم اشاهد زجاجة مسكر ولم اشم رائحة خمر ولم اسمع ان احداً يشرب المسكر ؛ وممنوع في الكويت عرض وبيع وشرب الخمر — كما ورد في الشريعة السمحاء — ولا يوجد في الكويت قمار ولا زنا ولا مبغى ، وسمو الامير لا يسمح بذلك عملا بأحكام الاسلام الحنيف ..

وحبذا لو اقتدت سورية وغير سورية بالكويت في هذا الباب .

ولا يوجد في الكويت اي شيء من وسائل اللهو والفساد ؛ وسمو الامير حفظه الله لايسمح بذلك فلايوجد في الكويت سينمة ويمنع دق العود ولعب النرد .

ولا يظن احد ان الكويت متأخرة لانها تمنع الزنا والسكر والقمار والنرد . . . واذا كان هذا تأخراً فأنعم به من تأخر وليت هذا التأخر يعم الوطن العربي الاكبر بل العالم بأجمعه .

والكويتيون مع ذلك يقضون اوقات فراغهم في تسلية بريئة فهم يقعدون في المقاهي يشربون الشاي ويسمعون الرادي ويدخنون (القدو) اي الاركيلة . يغنون ويدقون بالدف والدربكة في (الكشتات) اي النزهات وبعض (السمرات) اي السهرات ويلعبون الضامة و (الجنجفة) اي الورق بلا قمار .

وقد توجد في بعض سمراتهم السرية بعض الراقصات وجلهن من الايرانيات يرقصن رقصاً كويتياً على الدف والعود ، وقد توجد بعض المخالفات السرية .

والكويتيون يحبون المرح فهم يسمرون ويتنزهون معاً ، وهم يحبون النكتة ؛ حدث اني بينما كنت اشرف على احدى اللجان الفاحصة والمعلمون منهمكون بتصحيح الاوراق ووضع العلامات ، التفت الي احد المعلمين وقال ملاطفاً : كيف حالك استاذ ؟ فأجبته على الفور بلهجة وتعبير دمشقيين : مبسوط اي مسرور ؛ فضحك المعلمون وأخذوا يهزون اصابعهم ويقولون : المدير مبسوط ، أخ المدير مبسوط ؛ والمبسوط بعرفهم مضروب على رجليه، وادركت النكتة فضحكت ايضاً .

والكويتيون يحبون الخير يعطفون على الفقراء والبائسين ، والفقراء في الكويت قليلون جداً لان الاهلين لا يتركون فقيراً وهم يعطون الفقراء المال ويؤمنون لهم العمل للكسب .

والناس هناك يحرصون على اداء الزكاة حسب الفريضة الاسلامية يوزعونها على الاقرباء والجيران والمحتاجين وهم يعتقدون ان الذي لايخرج الزكاة تبور تجارته او تغرق سفينته ويستشهدون على ذلك بأمثلة عملية كثيرة ، وقدبلغت زكاة اموال احد كبار التجار نحو ثلاثين ألف روبية . والشيوخ يعطفون على الفقراء ؛ وسمو الامير يطعم يومياً عشرات الناس تراهم واقفين امام قصر الكشك وقدورهم بأيديهم لتملأ بالرز . ومن أسباب قلة الفقر في الكويت التعاطف القبلي فالاشخاص الذين ينتمون الى قبيلة واحدة يتساعدون ويتعاونون ولاتزال علاقة المرء بقبيلته وتعصبه لها موجودة رغم تحضر الاهلين . وانك لتجد في دار فيصل هلال عشرات من البدو من قبيلة مطير يتناولون فيها الطعام والكساء باعتبار ان اولاد هلال رؤساء مطير.

وقد يحدث ان يخسر تاجر أو تغرق سفينة بحار فيضحي صفر اليدين فيسرع الناس الى امداده برأس مال كاف ليجدد تجارته او يبتاعوا له سفينة يبحر بها .

والكويتيون ابعد الناس عن الشر ميالون الى المسالمة والهدوء وهم يكرهون الضجيج ، صدق او لا تصدق لم أر في الكويت خلال اقامتي بها قرابة سنة شجاراً ولا خلافاً ولا نزاعاً ، ولم أسمع احداً يشتم آخر او يسبه ، ولم اسمع شخصاً يعنف آخر او يوبخه او يرفع عليه صوته . يتكلمون ويتعاملون ويسيرون بهدوء وأدب . ولم ألاحظ ذلك في المدارس بل في (السكيك) اي في الطرق ايضاً . وهم مهذبون

ويرجع تهذيبهم الى تربيتهم البيتية اكثر مما يرجع الى توجيه المدرسة . حتى كنت أبرم بهم لكثرة هدوئهم ، فآمرهم باللعب ؛ وانت تلاحظ بوضوح احترام الناس لآبائهم وللمتقدمين في السن ، وللاب الكلمة العليا التي لا تخالف .

وانا خلال اقامتي في الكويت كنت أراقب الناس وأدرسهم عن قرب وعن بعد . وكنت اعاملهم معاملة الاخ لكي يفتحوا لي قلوبهم لاعرف حقيقتها واطلع على افكارهم ونفسياتهم لاقوم المعوج وأصلح الفاسد . وكنت معهم صريحاً مخلصاً، وأيم الحق لقد اعجبني اكثر ما رأيت فيهم.

ولا عيب في الكويتي الا انه بسيط سطحي التفكير ضعيف الشخصية . وكان يؤلمني منه ذلك كثيراً فهو لا يشعر بوجوده ولا يعتز بقوميته بل بقبيلته . وهو ليس صلباً بل ليناً سهل القياد .

والكويتي لا يعرف كيف يحب ولا كيف يغضب ، ولا يقدر الجهود كما ينبغي فقد كنا نحن نخدم الكويت بجود جبارة جداً نحن الذين غادرنا دمشق الى الصحراء لم نلق في الكويت التقدير اللازم والتشجيع الكافي .

هذه اخلاق الكويتيين ، وهي في مجملها كما ترى مفخرة من مفاخر العروبة ولون من ألوان الاسلام .

وقد زارنا في الكويت بعض الاخوان المصريين من المعلمين الذين كانوا يدرسون في البصرة وقد حدثناهم عن الكويت وعن الاخلاق فيها فقالوا : تلك هي المدينة الفاضلة التي حلم بها الفلاسفة . قلت : ولكنها ولله الحمد ليست في مخيلة فيلسوف وانما هي حقيقة واقعة في بقعة طيبة من بقاع الوطن العربي .

العادات : الكويتي بسيط في كل شيء ، في تفكيره ومأكله وملبسه ومسكنه . وهو على الغالب يأكل (العيش) اي الرز مع السمك او اللحم ، وهو يأكل الرز اكثر من الخبز لان الرز هو قوام حياته . وقليلا ما يأكل الخضار والفواكه لعدم وجودها ولغلائها اذا استقدمت من البصرة ؛ والوقمة الرئيسية عنده على العشاء عند المغرب ، وتتألف حتما من رز ولحم .

اما في الصباح والظهر فيأكل أكلا خفيفاً مع الخبز وهو يأكل بأصابعه . وقليون هم الذين يأكلون (بالقفشه) اي الملعقة .

وقد اقيمت لنا في الكويت عدة مآدب وولائم لم نأكل منها على الطارلة الا مرة واحدة في دار آل الغانم الكرام . وكانوا على المائدة احياناً يقدمون لنا الملاعق ولكنا كنا كثيراً ما نفضل ان نأكل بالايدي على طريقتهم . وكان صديقي الاستاذ كامل يقول ان طريقتهم في الاكل أكثر لذة لان جميع الحواس تشترك في الطعام . ومع ذلك فما كنا نأكل مرة بأيدينا الا وتثور عاصفة من الضحك لاننا كنا والحق يقال غير فنيين ، كنا نحار كيف نجمع الرز في شبه كرة فكنا نعصره ونكبسه ونضغطه بأصابعنا ومع ذلك فترى حضن كل واحد منا امتلأ بالرز ، وكان (الدهن) اي السمن يتسرب من اكفنا الى زنودنا وينقط من اكواعنا ، مايخالف . وكان المرق يقطر من ذقوننا . وما كنت اغادر المائدة او السماط الا وعلى لحيتي الصغيرة الشقراء — اذ ذاك لا اليوم — بعض حبات من الرز كانها حبات من اللؤلؤ على خيوط من الذهب . وترى شفاهنا وخدودنا وذقوننا تلمع من أثر السمك واللحم . وما كنت اجد غضاضة في ان انظر الى الكويتيين كيف يأكلون فآكل مثلهم . ولم تمض علي مدة طويلة حتى اتقنت الاكل على الطريقه الكويتية .

والكويتيون يشربون الشاي والقهوة بكثرة . اما القهوة فمرة دائماً الا انهم كانوا يحلونها لنا بالسكر احياناً على الطريقة السورية . وتعودنا شرب القهوة المرة . وهم يحبون الشاي الاحمر الضارب الى السواد ولايمكن ان يقدم لك احد (استكانة) اي كاساً من الشاي الا بعد ان يملئها حتى تطفح على الارض كما يفعل باعة عرق السوس عندنا في دمشق .

ومستوي المعيشة العامة منخفض جداً في الكويت والموسرون منهم لايعرفون ان ينظموا حياتهم ولا ان ينفقوا اموالهم .

أما لباس الكويتيين فـ « دشداشة » اي ثوب فوقها سترة او (بشت) اي عباءة ويضعون على رؤوسهم (غترة) اي كوفية يلبسونها غالباً دون عقال وانما

يرسلون ذؤابتيها عن الصدغين الى خلف الرأس بشكل متصالب . ويلبسون في (ريولهم) اي ارجلهم نعالا ، وكثير منهم يمشون حفاة وكنت اجد بعض الصعوبة في حمل التلامذة على لبس النعال او الاحذية . وكان يتفق ان يأتي التلميذ الى المدرسة لابساً نعله حتى اذا غادر المدرسة خلعه .

وهم لا يستطيعون اجراء بعض الالعاب الرياضية وخاصة (المشي) اي الركض والقفز و (الطمباخية) اي كرة القدم الا حفاة . وقليل منهم يلبسون الاحذية العادية . وكثير منهم لا يلبسون تحت (الهدوم) اي الثياب سراويل وانما (وزرة) اي فوطة .

وقد اقترح علي بعض المعلمين المتعلمين في العراق ان اجبر المعلمين جميعاً والتلامذة على لبس الالبسة الفرنجية ولكنني لم اوافق لان الزي العربي هو ابن البيئة وهو ليس وليد الذوق والتفكير والتقليد وانما هو وليد الحاجة والضرورة .

واما المساكن في الكويت فبسيطة ايضاً وسأتكلم عنها في بحثي عن الحالة العمرانية .

كيف يعيش الكويتي ؟ يستفيق قبل شروق الشمس ويتروق ويمضي الى عمله حتى الظهر فيغلق دكانه ويعود الى البيت فيتغدى ويستريح حتى العصر فيصلي ويعود الى عمله حتى الغروب فيؤوب الى داره وينام في ساعة مبكرة .

لذلك ترى اسواق الكويتيين مغلقة ما بين الظهر والعصر وكذلك بعد المغرب . هذا في الايام العادية اما اذا اقبل الحر وارسلت رمال الطرق لهيبها المحرق ونفثت الجدران الحرارة الشديدة تحت اشعة الشمس اللاذعة فقلما ترى احداً وتمتد عطلة نصف النهار نحو ست ساعات لتعذر العمل والسير في هذا الجو اللاهب .

والكويتيون لا يضنون انفسهم بالعمل وانما يأخذون كفايتهم من الراحة .

وهم احياناً يتنزهون في المساء الى ساحة الصفاة حيث يعسكر البدو لبيع منتجاتهم القذرة من اللبن والحليب والغنم والحمير والشيح .

وقد يجتمع الناس في المقاهي او الديوانيات يتقهوون ويسمعون الرادي . وأحب الاذاعات اليهم ما تذيعه محطتا الشرق الادنى ومصر . اما اذاعة دمشق فهي غير

معروفة وغير مسموعة مع الاسف . وقد سمعتها انا مرة واحدة مصادفة وكانت مشوشة مزعجة ومع ذلك فأحيط الكويتيون علماً ان محطة دمشق ليست محطة وطنيـة وانما هي محطة فرنسية استعمارية . وهي لا تحمـل اسم دمشق على سبيل الوطنية والنبل وانما على سبيل نسبة الشيء الى مكانه .

الدين : الكويتيون متدينون في غير تعصب محافظون في غير جمود وهم يقومون بالفروض الاسلامية كلهـا يأتمرون بما امر الله به وينتهون عما نهى عنه على الاكثر . والاكثرية تحلق الذقون ومنهم من يحلق الشاربين دون نقد .

وكنا نحن نسير في الكويت بألبستنا الفرنجية حاسرين كاننا في دمشق ولم نلق معارضة وقد زرت في هذا الوضع سمو الامير نفسه وانما كان بعض الصبية في بادى الامر يشيرون الينا بأصابعهم ويقولون : عنكريز اي انـكليز — لان الانـكليز وحـدهم يلبسون هذه البدلات — فنقول لهم نحن : معـاذ الله بل عرب مسلمون سوريون .

وقد اضطرتني شدة الحر في ايار وحزيران الى لبس الهدوم العربي لانه أخف وألطف .

وأكثر الناس هناك اذا (تحسنوا) اي حلقوا حلقوا رؤوسهم بالموسى وهذا شيء حسن . ولا يوجد ولله الحمد لا خرافات دينية ولا مزارات ولا قبور ولا شعوذات .

الاعياد : وحياتهم الاجتماعية تظهر في حفلاتهم واعيادهم واحزانهم وهي كلها بسيطة . جاء يوم العيد عيد الاضحى المبارك فنهضت صباحاً وارتديت احسن ملابسي ومضيت مع اخواني السوريين الى الجامع للصلاة جاء الامير بموكبه مع الشيوخ وقام الخطيب فألقى خطبة حسنة تشبه الخطب التي تلقى في جوامع دمشق في امثـال هذا العيد وهي مسجعه بالراء السـاكنه وينتهي كثير من جملهـا بالله أكبر وكان الخطيب يتكىء على عصا . ولم نسمع التهليـل والتـكبير الداوي كما نسمعه في جوامـع دمشق ولم نر الحمـاسة باديـة كما نعهدها في دمشق .

صلينا وخرجنا الى قصر الكشك للمعايدة على سمو الامير وعلى الشيوخ . ولم نر

في المدينة لازينات ولامواكب ولا احتفالات وانما دكاكين مغلقة واناساً متدفقين الى القصر مزدحمين على بابه بهدوء وبدون تدافع .

دخلنا من الباب الى ساحة القصر بين الشرطة والفداوية الواقفين بغير نظام وألفينا الامير قاعداً قرب الباب الى اليسار ويتلوه الشيوخ بحسب السن على مقاعد خشبية بسيطة عارية . نهض سموه ونهض الشيوخ فصافحناهم وباركنا لهم .

وكان سموه يحيي الناس كلاً بحسب مقامه يصافح بعضهم ويعانق كبارهم و (يحب) اي يقبل الاعزاء منهم في جباههم او اكتافهم .

ووقفا قرب طلابنا وكشافتنا الذين انشدوا بعض الاناشيد الوطنية السورية . ثم خرجنا من باب آخر لساحة القصر . وبعد قليل ركب سمو الامير سيارته وذهب يعايد على كبار القوم .

والعادة عندهم ان الناس يقسمون ايام العيد على عدد احياء البلدة فترى حي (الجبلة) اي قبلة يزور (الشرج) اي الشرق في النصف الاول من اول يوم من العيد مثلا وعلى ذلك فلا يغادر احد من اهل الشرج منطقته وهكذا . . .

وعايدنا نحن على كبار القوم ، وحيثما تذهب تقدم لك القهوة المرة فقط فلا سكاكر ولاشكولاته ولاحلويات ولاغير ذلك من التعقيدات المعروفة في سورية . القهوة المرة فقط عند الامير والبحار على السواء . بساطة اعجبتني ، واغتنمنا نحن الفرصة فأخذنا نشرح للقوم الحالة في سورية والنهضة في الاقطار العربية وضرورة تحقيق الوحدة العربية ولزوم انهاض الكويت . وكنا نجد آذاناً صاغية ، وفهماً اجمالياً حسناً للفكرة العربية .

وفي الاصيل ذهبنا الى ساحة الصفاة وكان الناس يسيرون في الطرق بالآلاف بهدوء من رجال ونساء واولاد يلبسون احسن الثياب . ولاحظت بعض النسوة يلبسن الخلاخيل (من الذهب) و (الحيول) اي الحجول وهي خلاليل من الفضة فوق الجوارب . و (اليهال) اي الجهال اي الاطفال يركبون (ام الحصن) اي الدويخة ويزمرون ويضحكون ويأكلون (الدريبل) و (البقلاوة) و (الحلاوة المسقطية) و(الرهش) ولم استطع ان اذوق هذه الانواع من الحلويات .

ولاحظت ان زينة النساء خالية من الذوق والجمال والانسجام . وبينما تسدل المرأة على وجهها النقاب الثخين وعلى كتفيها العباءة الفضفاضة حتى الارض تراها تلبس حذاء مفرغاً مقطعاً بكعب عال وجوارب لحمية الاون فوقها الخلاخيل . وكانت الاعلام الكويتية مرفوعة على السفن ودور الحكومة .

العرضة : وصلنا ساحة الصفاة حيث تجري العرضة اي العراضة . كان الناس متجمعين قاعدين وواقفين حلقات حلقات بعضها وسط بعض ، وفي الوسط ساحة كبرى يرقص فيها القوم . وافسح لنا الشرطي الطريق فقعدنا على (تخت) اي مقعد من الخشب ومن حولنا الوجهاء والشيوخ . واخذ رجال الشرطة يدبكون وبأيديهم البنادق يلوحون بها ثم القداوية وبأيديهم السيوف يهزونها . كانوا يدورون وهم يجرون حركات لطيفة فيها جمال ورجولة . والمنشدون يدقون الطبل وينشدون نشيداً نبطياً (نوع من النشيد) :

لا بتي (ياأصحابي) حنا شبوب الحرايب (حروب)

وانطفت حنا سنا نارها

وبعد قليل اقبل سمو الامير فنهضنا له وقعد في مكانه ثم نزل بعض اولاد الشيوخ الى حلبة الدبكة يهزون الخناجر ويدورون . ثم نزل الشيخ عبد الله الجابر رئيس المعارف والمحاكم وبيده السيف واخذ يدبك وبسمته لا تفارق شفتيه . ثم نزل الشيخ عبد الله المبارك رئيس الامن وأخذ يدبك ويهز سيفه المذهب بينما غدائره الطويلة الفاحمة تموج في الهواء . وسمو الامير ونحن والنظارة نتفرج بسرور .

رباه ! ما اجمل المساواة والحرية والاخوة : الامير والشرطي والعبد يرقصون ويهزجون .

أما حفلاتهم فهي ايضاً بسيطة ؛ وقد دعيت الى بعض الاعراس ، سرنا في الطريق ليلا ومعنا (تريك) اي ضوء وخلفنا جمع غفير من الناس . مشينا ولكن بدون هزج حتى وصلنا الى دار العروس فتلقانا اهلها بالمرشات اي القماقم يرشون علينا ماء قيل انه ماء الزهر ، وكان النسوة يزغردن وهن محجبات .

دخلنا غرفة العريس فبارکنا له فوجدنا غرفة صغيرة فيها اثاث بسيط . خرجنا

الى (الحوش) اي ساحة الدار وقعدنا ، واقبل الناس بالمئات فهنئوا العريس ومنهم من عاد أدراجه ومنهم من قعد وتقهوينا .

ثم قام بعض الشبان يرقصون وانقسموا فريقين يتبادلان الغناء على دق الطبل والدف والدربكة ، يدنون من بعضهم ويتأخرون يرفعون ارجلهم ثم يضربون بها الارض وينشدون غناء العوازم (نوع من الغناء) :

وامس الضحى باديـاً فريج (فريق) مصبّح .
جينا المطوع (أتينا الشيخ) يحدث أمس الابصار .
يقول : طرد (أي طالب) الهوى نارن (نار) شعالي .
والله لا أسمع حـديثه لو يجنّه (يجن) .
واتبع هوى البيض في هرجن (كلام) يقالي .

كانوا يغنون بلحن بدوي جميل ولهجة بسيطة لطيفة ، وكان بعض الاخوان من حولي يفسرون : يحلف انه لا ينصاع لنصائح الشيخ بالبعد عن الحب ولو جن الشيخ . فصفقت وقلت : زين كلش زين .

ومن أغرب عوائدهم في الاعراس ان الزوج هو الذي يذهب يوم العرس الى دار الزوجة فيدخل ويبقى اسبوعاً ثم يعود بزوجته الى داره على عكس الامر عندنا .

وأرى ان عاداتهم هـذه معقولة اكثر اذ الزوجة تشعر بشيء من الوحشة اذا انتقلت الى دار جديده لتعاشر زوجاً لا تعرفه .

الاحزان : الاحزان مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية لذلك لا اهملها هنا في كتابي هذا :

الكويتي — وكذلك كل عربي — يرى ان الموت امر طبيعي لذلك فهو لايهتم به كثيراً . وهو يتألم ولكن لا يبالغ في الحزن ، على عكس الامر عندنا .

وقد تأخر ذات مرة احد المعلمين نحو ساعة فلما اتى وجدته مصفر الوجه قليلا فقلت له : خيراً ؟ قال الله يسلمك مات ولدي ، فرحت على عادة الدمشقيين اعزيه بالعبارات الرقيقة واحاول ان اخفف آلامه واجتهد ان اهون عليه المصاب، واقول : لا حول ولا قوة الا بالله ، هـذه حال الدنيا . . . فشكرني على عواطفي باقتضاب،

وقد دهش هو لمبالغتي في تخفيف الحزن عنه اذ ليس في الامر ما يوجب ذلك في نظره ، واقترحت على المعلمين ان نذهب لتعزيته في داره فما وجدت منهم حماسة فدهشت من عدم مبالاتهم بالموت .

وعجبت كيف دفن الرجل ولده واتى من المقبرة الى المدرسة ، وأحببت ان اعطيه فرصة للاستراحة قلت له : ولماذا اتيت ؟ قال : ما يخالف .

ولم اشهد جنازة واحدة لانهم يجهزون الميت ويسيرون به الى المقبرة بهدوء بدون ضجة ولا دعاية ولا آس ولا أذان .

واما المآتم فهي بسيطة ؛ ذهبت اعزي القاضي مرة وفي نفسي أسى ، دخلت الديوانية فنهض القوم واخذت مكاني وعزيته ولم اكثر عليه ، ولم اشاهد رجلا يقرأ القرآن ودار البحث حول النقاط الفقهية وعن طهارة الغول وعما قيل في الادب والشعر من التعازي ، وتخلل البحث نكات وضحك كأنني لست في مأتم ، ثم تقهويت وانصرفت .

وكنت امر في طريقي كل يوم على المقبرة ، ولكنني لم اعلم بوجود المقبرة الا بعد شهرين ، ذلك ان المقبرة بسيطة : عرصة في ارضها انتفاخات واحجار . لم أر قبوراً ولا شواهد ولا ابنية ولا اضرحة ولا نحتاً ولا حفراً ولا عروقاً خضراً كما هو الامر في سورية بل اكواماً من التراب وحجاره لتتفرق القبور ؛ وبين القبور قبر الشيخ مبارك لا فرق بينه وبين أي قبر آخر .

وجدير بالذكر ان الكويتيين ليسوا وهابيين . ومن عاداتهم الحسنة عدم العناية بالقبور .

المرأة : لا تزال مكانة المرأة في الكويت منحطة مع الاسف لجهلها ولكن النهضة النسائية اخذت بالظهور بواسطة مدارس البنات التي تديرها وتدرس فيها معلمات سوريات ، ترى بنت المدرسة تلبس الصدرية السوداء والقبة البيضاء ، وعلى شعرها فراشة من الحرير ، تحمل كتبها في يدها وتبدو النجابة في وجهها .

اما المرأة المعاصرة فجاهلة امية لا تتقن تنظيم البيت وتأثيثه وتنظيفه ولا تعرف

كيف توجد جواً عائلياً محبباً . وحدثني بعض المعلمين ان كثيراً من الرجال لا يأكلون مع زوجاتهم ترفعاً ، ولا قيمة للمرأة ولا لرأيها لتأخرها وهي عندالاكثرية الساحقة متاع وحرث وخادم .

والحقيقة ان المرأة الكويتية اليوم لا تستحق اكثر من ذلك ، وهي لا يمكنها ان تطالب بحقوقها الا اذا نهضت وتهذبت وتعلمت وصارت قادرة على فهم ما لها وما عليها وعلى القيام بواجبها وعلى ممارسة حقوقها .

والمرأة الكويتية محجبة حجاباً كثيفاً جداً فأكثر النساء وخاصة نساء الطبقة العالية لا يغادرن دورهن الا للضرورة ، والرجال هم الذين يؤمنون لهن طلباتهن من السوق وكثيراً ما يجلب الرجل للمرأة انواعاً وألواناً من الاقمشة لتنتقي منها . ولذلك لا ترى في طرق الكويت على الغالب من النسوة الا العبدات والخادمات .

وحجاب المرأة لا يقتصر على القماش الذي يستر وجهها وجسمها وانما يتناول البيوت ايضاً فاكثر البيوت لا توجد لها نوافذ على الطرق مبالغة في حفظ الحريم اللائي يسكن في دائرة مخصوصة من البيت اسمها « الحرم » ولا يذهب خيالك الى ان هذا الحرم يشبه الحرم السلطاني او بيوت دمشق وانما هو الى السجن اقرب. والكويتية مهذبة متدينة ومخلصة وهي في الطريق تلبس العبا وتسدل على وجهها قاباً ثخيناً وتلبس الجوارب والاحذية ولا يبدو شيء من جسدها الا يداها وأحياناً قدماها اذا كانت حافية . وبعض النسوة يلبسن تحت ثيابهن ذيلا تسحبه المرأة خلفها على الارض ليستر قدميها السوداوين الوسخين ، تسير وذيلها خلفها يثير الغبار، وتعدد الزوجات منتشر في الكويت لقلة كلفة الزواج وضآلة مطالب المرأة . والعازبون قايلون جداً ولا تكاد تجد شاباً جاوز العشرين وهو عزب ويعيبون على من يفعل ذلك ولذلك قل الفساد .